



الفصل الأول

الإيمان بالله هو القاسم المشترك بين الأديان الثلاثة

* الوحدة الأساسية لديانات أهل التوحيد الثلاث

عندما قام جاك نيرنك بإعداد هذا الحوار بدا لي أن ما يوحد اليهود والمسيحيين والمسلمين أقوى مما يفرق بينهم إذ إن العامل المشترك بينهم هو الإيمان بالله الواحد، ولكن تجاهلهم المتبادل أصبح القاعدة دون استثناء.

مثال على ذلك عقيدة الكنيسة الكاثوليكية التي تم نشرها سنة 1992 تحت إشراف الفاتيكان فانها مكونه من 700 صفحة تتضمن مراجع الديانة اليهودية والإلحاد والمذهب المادي دون الإشارة إلى الإسلام بحيث إنها تتجاهله تماماً، لقد نجحوا في تجاهله بوصفه أكبر ديانة على وجه الأرض بعد الديهانة المسيحية، وذهبوا إلى أبعد من ذلك حيث نسوا أو تناسوا أن هناك رابطاً تاريخياً بين الديانتين، ولا توجد أي إشارة إلى القرآن ولا أي إشارة إلى محمد ﷺ، لا داعي لتذكيرهم أن العكس غير صحيح لأن الإسلام يكنّ احتراماً كبيراً لليسوع الذي ذكر كثيراً في القرآن الكريم.

في البداية ظهر إله واحد لمواجهة الشرك السائد آنذاك بين الديانات القبلية المنتشرة في الشرق الأوسط، لقد حلت الديانات التوحيدية الثلاث محل هذه الديانات القبلية التي تعتقد أن النفس هي مبدأ الفكر والحياة العضوية في الوقت نفسه للقضاء على المعتقدات القديمة والحديثة التي حلت محلها مثل جمع المال والتقنية، والتنافس وظاهرة السرعة والموضة والمردودية، يجب التركيز على الإقرار والجزم بأن الله واحد لا شريك له.

هل أنت موافق على نقطة البداية هذه؟

طارق رمضان:

أشكرك على طرح مادة النقاش على طاولة البحث. أعتقد بالرغم من كل التجاوزات التي يشهدها العالم اليوم وخاصة تلك التي تتعلق بالإسلام يجب الرجوع إلى المبادئ الأساسية، إن دراسة معمقة للإسلام وترجمته الحرفية الاستسلام لله الواحد تسمح الديانات التوحيدية الثلاث بتنفس الصعداء، لقد جاء الوحي ونزل القرآن الكريم ليعبّر على كل أهل الكتاب ويوحد بينهم؛ لأن القرآن يشير إلى أهل الكتاب واليهود وسيدنا موسى عليه السلام كما يشير إلى المسيحيين والسيد المسيح، إذاً أخذنا بعين الاعتبار الإيمان فهو من الأشياء التي توحدنا.. بخصوص وجود الله ورؤيتنا في العالم وما يترتب عن ذلك من مسؤوليات أمام العالم وأمام الإنسان، هذه هي القاعدة المقدسة بين كل أهل ديانات التوحيد الثلاث.

أذهب إلى أبعد من ذلك وأؤكد أن هذا هو القاسم المشترك بين كل أهل الفكر الحي الذين يعملون من أجل كرامة الإنسان في حياته وتمسكه بعقيدته

جاك نيرنك:

قبل الذهاب إلى أبعد ربّما يجب الاتفاق على تعريف الإيمان، أود قبل كل شيء الاستشهاد بتعريف لعالم مسيحي (هانس كونج Hans Kung) يقول فيه إن الإيمان بالنسبة لليهود والنصارى والمسلمين يدل على أن الإنسان حالياً مهما كان ومهما كانت إمكانياته العقلية ملتزم بصفة مطلقة بتفويض أمره إلى الله بكل ثقة وتصديق قوله.

هل المسلمون يوافقون على هذا التعريف للإيمان؟

طارق رمضان:

إن تعريف هانس كونج للإيمان فيه تطابق لتعريفه في الإسلام وتتوافر فيه الشروط المطلوبة، الإيمان ليس مجرد إحساس غامض، فهو إحساس يتغذى من شروط ربانية، لذا فنحن نتفق على هذه النقطة بالذات.

جاك نيرنك:

بإمكاننا إذاً الدخول بعمق في الموضوع والتذكير أن هذا الإله الواحد الذي يؤمن به أهل الكتاب -لنسمي هكذا كل أولاد إبراهيم: يهود ونصارى ومسلمون- ليس بإله الفلاسفة، ليس الإله الذي اكتشفه

أفلاطون مثلاً نتيجة نظرية الفلسفة، إله الفلسفة هو عبارة عن مبدأ ومجرد مجاز وفرضية، فهو أي شيء تنصوره ما عدا الإنسان.

(بليز باسكال): أحسن من استوعب هذا الفرق إذ قال في مذكراته: (الله إبراهيم، الله إسحاق، الله يعقوب، وليس الله الفلسفة والعلماء).

هذه المقابلة مع إله حي ومجسم تركت آثاراً في باسكال الفيلسوف وعالم الرياضيات، أثرت فيه إلى درجة أنه كتب ما يأتي وحمله في ملابسه: (إن المسلم قد يفضّل تشكيلة مثل هذه - إله إبراهيم، وإسحاق ويعقوب - وما عدا ذلك فهذه الصيغة تناسبه).

ما يميز ديانات أهل التوحيد الثلاث أنها تخاطب إلهاً تاريخياً.

الرب تحمل مسؤوليته عبر التاريخ وتجلّى عبر مختلف الرسل الذين أرسلهم، فهو ليس وليد عمل ثقافي قام به العلماء، لم يأت ليسدّ فراغ جهلنا العلمي، فهو ببساطة كل شيء، هو ليس من صنع الإنسان، هو الذي قصد الإنسان وتجلّى له، فالإنسان يكتشف الرب عندما يوحى إليه، أن منهج الله أساسي.

طارق رمضان:

بالنسبة لي أنا بوصفي مسلماً صيغة باسكال (الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب) تناسبني وهي مطابقة لما ورد في القرآن الكريم.

أما الفرق بين إله الفلاسفة وماورد في الوحي فهذا ملائم أيضاً ويترجم بالفعل المفهوم الإسلامي، بالنسبة للمسلم فالوحي شيء

أساسي، فالله يخاطب الإنسان ويخبره بوجوده عن طريق كتابه وعلى لسان رسله.

من هنا يبدأ الإيمان ويتم اكتشافه عند ظهور التوحيد عبر كل الكتب المقدسة، وفقاً للتقاليد الإسلامية ووفقاً لرسائل الأنبياء يقرر الله سبحانه وتعالى بإنزال رسالة في وقت ما من تاريخ البشرية لتوجيه المسؤوليات.

أما ما يجب توضيحه أنه في اعتقادنا نحن المسلمين مثل ما هو معترف به في كل التقاليد أنه تم إجراء تعديلات وتطويرات على بعض ما جاء في الوحي، لكن العنصر الأساسي في كل هذا أنه حسب السنة النبوية الشريفة أن كل الأنبياء جاؤوا بالتوحيد مثل ما تؤكد الآية 25 من سورة الأنبياء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وهذا يميز الديانات الثلاث ويوحدها، وهذا طبعاً ليس من صنع المثقفين، ولكن الوحي هو الذي يؤكد كفاية الإنسان في علم المنطق، فالقرآن يؤكد ذلك باستمرار: الوحي يؤكد ما يتنبأ به الإنسان وخاصة ما يشعر به داخله وحوله، والبناء المنطقي يؤكد حقيقة هذا التنبؤ.

إن الفكرة التي جاءت في الكتاب (كتاب العالم) أو (الكتاب المنشور) التي وردت في تقاليد فلسفة القرون الوسطى موجودة أيضاً في الإسلام، هناك (الكتاب الموحى) وهو الكتاب الذي أوحى إلينا، وهناك (الكتاب المنشور) وهو الكتاب الذي يدل على وجود الخالق بوساطة أدلة تدل على الإبداع في خلق هذا الكون كما تدل على أعماق ما بداخلنا.. فكلما

آية بالعربية تدل على العلامة كما تدل على علامات المودة، وعلى علامات العالم وعلى آيات قرآنية: فهي الكلمة نفسها في الكتابين، فالتطابق الموجود بين الكتابين هو تطابق مباشر، وطبيعي، فكلاهما يسهمان ويذكران الإنسان عن طريق الوحي أن شيئاً بداخله هو الذي كوّنه وخلقه.

جاك نيرنك:

التقاليد اليهودية والمسيحية والإسلامية تتحدث عن الإله نفسه الذي خلقنا جميعاً، وهذا يدل على أنه خالق كل شيء، فهو الذي خلق كل شيء ووجه له كل اهتمامه ورعايته فهو الذي يحافظ على هذا العالم ويسهر عليه، فهو الذي يحافظ على وجوده واستمراره، وبطريقته الخاصة يتصرف كما يشاء في هذا العالم، فهو بتعبير آخر نموذج خاص خالق وشريك في كل تصرفات الإنسان، وبما إن الإنسان حرّ ومسؤول يمكنه أن لا يفعل ما ينتظر منه، أهذا هو المقصود؟.

طارق رمضان:

هذا صحيح، لكن فكرة الإله الخالق والشريك في تصرفات الإنسان غير واردة في الإسلام والتقاليد الإسلامية، أنت تصر من البداية على أن خلق المخلوقات مستمر وكما تصر على وجود الله بصفة دائمة وهذا ورد فيما بعد في الفلسفة الديكارتية، إن الله يصاحب مخلوقاته في كل مكان، بصفة عامة بالنسبة للمسلم، والمؤمن فعلاقة الله مع العالم

علاقة مسؤولية وثقة، هذه المسؤولية وهذه الثقة ناتجتان عن طيبة الله سبحانه وتعالى وحبه لمخلوقاته.

* الاختلاف بين الديانات التوحيدية الثلاث

جاك نيرنك:

بما إننا وجدنا نقاط التقارب لنتكلم الآن عن نقاط الاختلاف.

داخل الديانات الثلاث، هناك نقطة نزاع، هناك فكرة يشمئز منها أنصار هذه العقيدة: يبدو لهم أن التخلي عن هذه الفكرة يعني التخلي عن هويتهم، وهذه الفكرة غير مقبولة لدى اثنتين من الديانات الثلاث.

فاليهود يعتقدون أنهم يتميزون عن غيرهم بأنهم الشعب المختار، في الحقيقة: أن الله يميل إلى فئة معينة من البشرية، أما البقية فهي مستبعدة وهذا لا يعني أن غير اليهودي معرض للهلاك، لكن اليهود يرفضون اعتناق اليهودية لغير اليهودي وخاصة المسيحيين منهم... عملية اعتناق اليهودية عملية صعبة ومعقدة جداً.

لذا لم يحاول اليهود القيام بعمليات تبشيرية بالرغم من وجود القليل ممن اعتنقوا اليهودية... حالات معدودة.

هذه الصفة التي يتّصف بها الشعب المختار الذي كانت له مكانة خاصة مع الله تشمل فئة من البشر فقط، لكنها غير مقبولة من الفئات الأخرى، الفئات التي استبعدت، هذه التفرقة غير موجودة

لدى المسلمين فالإسلام جمع عرباً وفرنساً وطوارق وسودانيين وهنوداً وإندونيسيين وأتراكاً وألباناً، وحتى الأوروبيين الذين اعتنقوا الإسلام، تميز الشعب المختار لا يقبلها المسيحون؛ لأن الدين المسيحي نشأ من اعتناق العديد من الوثنيين اليونانيين والرومان والسّلتيين الذين كانوا يناصرون اليهودية من قبل ولو جزئياً، تكلفت المسيحية بالتوحيد اليهودي وتعهدت بإنجاز ما جاء به الأنبياء وأكدت أن المسيح هو المسيح الذي لا تزال إسرائيل تنتظره.

لو تأملنا في العقيدة المسيحية، نجد نقطة أساسية تشكل مصدر نزاع: أن الله المتمثل في شخص المسيح هي صيغة لا تهضمها ولا تقبلها الديانتان الأخريان؛ لأن تمثيل الله بإنسان هو كفر بالنسبة لليهود، هذا ما جعل المحتلون الروم يحكمون عليه بالقتل، وهو كفر أيضاً بالنسبة للمسلمين: اليسع الناصري هو نبي لكن لا علاقة له بالآلوهية.

لونبحث عن النقطة المركزية في الإسلام التي تشكل نقطة الخلاف مع المسيحيين واليهود أعتقد أن ذلك يدور حول المكانة البارزة التي يحتلها القرآن الكريم؛ لأنه كلام الله حقيقة وغير مخلوق، غير قابل للزيادة والنقصان.

هل هذه في رأيك هي النقطة المركزية التي لا يمكنك بوصفك مسلماً التسامح فيها؟ هذه النقطة هي التي تجعلك تختلف عن بقية المؤمنين من ذرية إبراهيم عليه السلام.

طارق رمضان:

لقد أصبت وعبرت عن موقع نقاط الخلاف الموجودة في الديانات الثلاث، يمكننا التعمق أكثر والدخول في تفاصيل هذه الخلافات الموجودة بين الدين الإسلامي والدين اليهودي والدين المسيحي، والخاصة بالمسائل المهمة المتعلقة بالنصوص والقوانين والثالوث المقدس والتسامح.. إلخ، لكن المهم هو ما أشرت إليه.

ولكني أريد إضافة شيء مهم يثير الجدل لدى المسلمين... وهو الخطيئة الأصلية التي لها علاقة مباشرة بتصور الإنسان وما يعتقدّه المسيحيون بخصوص تشبيه المسيح بالإله في التقاليد المسيحية، فهذه المسألة مهمة لأنها تخالف مبدأ البراءة الذي يعدّه المسلمون مهماً جداً بما إنه بريء فالإنسان يصبح مسؤولاً ولا يتحمل ذنب الآخرين وبصفة خاصة ذنب آدم.

نحن بوصفنا مسلمين وأنا شخصياً حسب تجربتي الميدانية العناصر التي كثيراً ما تواجهنا أسئلة حولها هي مكانة القرآن لدى المسلمين؛ لأن المسلمين يعدونه كلاماً أنزله الله على رسوله محمد ﷺ عن طريق الوحي، فهو كلام الله معنى وشكلاً؛ أي أنه مقدس بآتم المعنى (ويظهر ذلك في تعاملنا معه يومياً)، هناك احترام كبير لهذا الكتاب المقدس بالإضافة إلى تمسكنا الشديد به، فنحن نحترمه شكلاً ومضموناً وقراءة، كما سوف ترى هناك هيبة وتقديراً لهذا النص الذي أنزل عن طريق الوحي.

والسؤال المطروح يدور حول التأويل والنقد العلمي الذي يعد نقاشاً أساسياً.

لقد حصل لي في مناقشات أجريتها مع أصدقائي المسيحيين الوصول إلى أبعد الحدود في حوار مهم جداً؛ بمعنى آخر أنه في وقت من الأوقات ومن أجل نقد (علمي حديث) كان من المفروض أن أتخلى عن أحد العناصر المهمة في العقيدة الإسلامية، ألا وهو افتراض أن القرآن نزل عن طريق الوحي، كما نفترض أنه كلام الله، وهذا لا يعني وهذا ما أردت دائماً شرحه أنه يلزم قراءته حرفياً وبطريقة جامدة، فالعكس هو المطلوب لأن قراءته تتطلب الفهم والتجديد عبر العصور.

لكن النص يبقى هو المرجع، فهو الذي يوجهنا ويفرض علينا قراءته، لقد قلت إن قراءته لا تتسم بالجمود لأنه في كل قرن يتجدد نقده: مرة، ومرتين وثلاثاً وأكثر، لذا لا يجب إعادة النظر في وضعية كلام الله الموحى هذا ما يجعلني أتابع، وأناقش التفسيرات التي سمعتها من قبل بعض المسيحيين في مؤتمرات دينية حيث يقولون: في المسيحية (تجسد المسيح) تم عن طريق الإنسان.

أما لدى المسلمين فقد تم ذلك عن طريق الكتاب.

وضع القرآن في الإسلام لا علاقة له بوضع (تجسيد المسيح) لدى المسيحيين، لذا لا يجب خلط المراجع، حتى لو فرضنا أن وضع القرآن يشكل مصدر نزاع في المناقشات الدينية.

* مكانة القرآن العالية في العقيدة الإسلامية

جاك نيرنك:

حان الوقت لتقديم القرآن الكريم؛ لأن القراء يفتقرون إلى أفكار واضحة بخصوص الشكل النهائي لنص القرآن، لقد تم تحديده من أحد الخلفاء الأوائل الذي أمر بكتابته وتدمير كل ما كتب قبل هذه النسخة.

طارق رمضان:

حسب التقاليد الإسلامية تم إعداد نص القرآن على ثلاث مراحل أساسية، المرحلة الأولى لإعداد النصوص تمت في حياة الرسول ﷺ، كان في الأول يحفظ شفهيًا، وبعد توصية من الرسول ﷺ تم اختيار كتاب لتدوينه على ما تيسر من مواد كعظام أكتاف الجمال أو أي مادة مسطحة أخرى.

أنزل القرآن منجماً في ثلاث وعشرين سنة عن طريق جبريل ﷺ الذي كان يمليه على الرسول محمد ﷺ، وكان يعوده في كل سنة في شهر رمضان ليتأكد من حفظه لما أوحى إليه من قبل، وفي أواخر سنة من حياة الرسول ﷺ طلب جبريل ﷺ من الرسول ﷺ تلاوة القرآن مرتين في الترتيب نفسه الموجود اليوم.

جاك نيرنك:

وهل في ذلك الزمان كان القرآن يرتل شفهيًا فقط؟

طارق رمضان:

طبعاً كان يرتل شفهاً، لكن النصوص كانت مكتوبة على ما تيسر من مواد مثلما قلت من قبل، كان هناك كتاب يتولون كتابته والاحتفاظ بما نزل من الآيات، ومن أشهر هؤلاء الكتاب زيد بن ثابت.

وبعد وفاة الرسول ﷺ وبالضبط بعد معركة اليمامة (سنة 633 أي سنة بعد وفاة الرسول ﷺ) توفى أكثر من سبعين من حفظة القرآن الكريم، وبأمر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه تم تجميع كل ما كتب من قبل لتدوين نسخة موحدة وكاملة، وهذا هو أول مصحف (مجمع أوراق) تم إيداعه لدى حفصة بنت عمر بن الخطاب الخليفة الثاني.

جاك نيرنك:

وهل لا تزال هذه النسخة محفوظة؟

طارق رمضان:

هناك مرحلة بين هذه النسخة والنسخة الموجودة اليوم، لما جاء الخليفة عثمان خشي من تفرق المسلمين واختلاف القراء فأمر بكتابة مصاحف طبقاً للنسخة المحفوظة عند حفصة، وبعث في كل أفق بواحدة منها على أن يكون هذا المصحف هو المرجع مستقبلاً، كان ذلك سنة 653، أي عشرين سنة بعد وفاة الرسول ﷺ، فالمصحف الموجود بين أيدينا اليوم هو نسخة طبق الأصل للمصحف الذي أودع عند حفصة.



جاك نيرنك:

وفي هذه الحقبة بين 650 و660 تم توزيع عدد لا بأس به من هذه النسخ. طبعاً هذه النسخ كانت مكتوبة باليد.

طارق رمضان:

طبعاً ما كتب سنة 633 وتم توزيعه بقي ساري المفعول حتى سنة 660، وما بعد في كل الآفاق الإسلامية، لكن بالنسبة لنا اليوم فالنسخة التي أمر عثمان بكتابتها هي المعمول بها اليوم.

جاك نيرنك:

ما هي أقدم نسخة موجودة حالياً؟

طارق رمضان:

الآراء تختلف حول هذا الموضوع، هناك نسخة يسمونها (نسخة الإمام) التي يقال إنها نسخة عثمان نفسه الذي قتل وهو يقرأها، فهي محفوظة في تركيا ويرجع تاريخها إلى سنة 650، هناك فحوصات كشفت صحة هذا التاريخ، هناك نسخة أخرى محفوظة بالمكتبة الوطنية المصرية يرجع تاريخها إلى سنة 688، أي سنة بعد وفاة النبي ﷺ، ويبدو أنها كتبت وفقاً لنسخة عثمان، هناك أجزاء من المصحف مبثرة في متاحف العالم، في سورية، ومصر، وشمال إفريقية.. إلخ.

جاك نيرنك:

ومن يتولى حالياً الاحتفاظ بهذه النسخ وعلى نفقة من؟ هل هي الحكومات، أو السلطات الدينية أو الجامعة؟

طارق رمضان:

الحكومات هي التي تتولى هذه المهمة بوساطة السلطات الدينية، أو المتاحف التي تقوم بالاحتفاظ بهذا التراث الإسلامي، بداية من الدولة العثمانية بدأ الاهتمام بهذا التراث الهام.

جاك نيرنك:

إذاً يمكن الحصول بسرعة على نسخة كتبت بعد ثلاثين أو أربعين سنة بعد وفاة الرسول ﷺ سنة 632، يا لها من مصادفة عجيبة حيث كتبت كل النسخ طبقاً للنسخة الأصلية!

طارق رمضان:

من البداية أعطيت الأوامر على أن لا يكتب القرآن دون مشورة، ولا يزال ذلك ساري المفعول اليوم. لا يمكن طباعة أي قرآن دون الإذن والموافقة على ذلك من السلطات المختصة التي تسمح بذلك بعد قراءة دقيقة لهذا القرآن.

إذاً فالنص الأصلي لا يزال موجوداً اليوم والفرق الموجود بين المصاحف هو خطّي أو مطبوعي أو شكلي ما عدا هذا فالنص واحد.

جاك نيرنك:

هذا التماسك في النصوص كان نتيجة السرعة التي تَمَّت بها كتابة النص الأصلي.

على سبيل المقارنة أحسن ما كتب من التّوراة كان في القرن السابع والثامن عشر حتى تم اكتشاف نسخة كتبت سنة 200 قبل الميلاد بقرمان.

هناك فروقات كبيرة بين هذه النسخ، وهذا ليس بغريب لأن الفرق بينها ألف سنة، عند كتابة نص وإعادة كتابته تحصل تحريفات مقصودة وغير مقصودة، نحن تعودنا آلات التصوير لذا لا نتصور أن مثل هذه الانحرافات قد حصلت عند استخدام وسائل قديمة كانت مستخدمة في العصور القديمة.

طارق رمضان:

لا بد أن سرعة النسخ والإرسال هي التي كانت حاسمة، ولكن بالنسبة للمسلم فهو يجد في القرآن الذكر الحكيم، وهذا هو أحد أسماء القرآن، وهذا أحد الأسباب التي جعلت الأولين يحتفظون بالنص الأصلي.

بالنسبة لنا فهذا دليل قاطع على أنه آخر كتاب يوحى، فالنسخة الأصلية صالحة لكل زمان، إن هذا النص تذكرة في حد ذاته، تذكرة قوية، فهو مصدر ثقة ووليد العقيدة الصحيحة.

جاك نيرنك:

هناك تشابه مع الأصوليين المسيحيين الذين لا يريدون المساس بما جاء في التوراة ويرفضون حتى تفسيرها، هم ينصدمون عندما يقال لهم إن هناك اختلافات بين النسخ المختلفة كما أن هناك إضافات مهمة.

إن النص الوحيد المذكور في الإنجيل الذي يقول فيه إنه ابن الله يعدّه المؤولون المعاصرون نصاً مزوراً، فهذا النص غير موجود في الإنجيل الأصلي، هذا مهم جداً لأنه نقطة اختلاف بين النصارى واليهود والمسلمين.

طارق رمضان:

هذا مهم جداً لأنك عند إجراء مقارنة مع الأصوليين لا بد من توضيح نقطة أساسية؛ لأن هناك فرقاً جذرياً، لذا يجب علينا الانحراف شيئاً ما عن تاريخ المسيحية وعلاقته بالنص.

إن انزواء وضيق الرؤية التي يتسم بها بعض المسلمين لا تعني أن أي نص لا يتم تحريفه هو نص موحي. في هذه النقطة بالذات فموقف بعض المسلمين هو موقف الأغلبية، هذا لا يعني أنه لا يمكن التأويل لأن هناك الكثير من العلماء الذين يقولون: هذا نص موحي، ولكن نحن مجبرون على تأويله، وبعض المقاطع تجبرنا على تأويل البقية، يجب إجراء ضوابط تفسيرية.

إذاً هناك اختلال كبير بالنسبة إلى تقاليد الأصوليين المسيحيين بالرغم من التمسك بما جاء في النصوص وبالرغم من أن لها صفة مطلقة هذا لا يمنع من التجديد نسبياً في تفسير هذه النصوص ويبقى الهدف الأخير هو عدم الانحراف عن النص الأصلي.

ليست هناك حرية مطلقة في التفسيرات لكن لا يجب أن تكون هذه التفسيرات مختصرة لأنها تمس حياة الإنسان الذي يرجع إلى هذه النصوص، فهو عمل يربط بين النص وما تقدم منه، وهذا لا يوجد لدى الأصوليين المسيحيين، كما لا يوجد عند بعض الأصوليين المسلمين أيضاً الذين يقرؤون النصوص بطريقة تقليدية وحرفية.

جاك نيرنك:

من التقاليد الإسلامية احترام العلوم والعمل الثقافى، إن العقيدة الإسلامية ليست مخالفة للمنطق.. بالمقابل هناك عبارة مبالغ فيها في العقيدة المسيحية تقول (أعتقد لأن هذا يبدو لي غير معقول) هذا النوع من البرهان لا يقبله المسلم، فهو لا يصدق لأن العقيدة لا تقبل المنطق ولكنها تطبيقية ومنطقية.

بخصوص المسائل الأخلاقية أو القانونية التي لم ترد في القرآن على الإنسان أن يحكم العقل ويجري مقارنة بالتوجيهات التي جاء بها الرسول ﷺ وبتصرف. تلك هي المبادئ الكبرى التي نستخلصها من قراءة القرآن.

لنتكلم بحرية على اللغة المستخدمة.. طبعاً اللغة المستخدمة هي اللغة العربية، اللغة العربية الفصحى، اللغة النموذجية، انحرفت اللغة العربية في القرن السابع عشر ونتج عن هذا الانحراف العديد من اللهجات حتى أصبح من الصعب على السعودي فهم التونسي، وربما تصبح اللغة الإنجليزية لغة تفاهم بينهما.

لكن من الغريب أن يستخدم هذه اللغة الممتازة أمي كمحمد ﷺ الذي يرأس القوافل ويعيش حياة صعبة لا تخلو من الخطر والمغامرة، فهو ليس بالرجل المثقف الذي يجلس خلف مكتبه، عمله يشبه عمل صاحب شركة نقل عمومي اليوم، لغته كانت حقاً مدهشة، حسب ما ورد في التاريخ الإسلامي أن محمداً ﷺ حفظ ما أوحى عن ظهر قلب، إذاً في الأصل نزل القرآن شفهاً ثم قام بتدوينه كتاب لأن الرسول ﷺ أمي لا يجيد القراءة والكتابة، هل هو كاتب النص أو مجرد مدون؟

طارق رمضان:

فهو مجرد ناقل لما أوحى إليه، وليس الكاتب، بالنسبة للمسلمين فالله هو الذي يتكلم شكلاً ومضموناً وهذا يسبب لنا بعض الإحراج في المناقشات الدينية.

عندما توجه إلينا أسئلة كهذه (محمد ﷺ قال في القرآن) هذا يزعجنا ولكننا نتفهم ذلك لأن السائل يتصرف وفقاً لتقاليد، بالنسبة لنا فالنص نزل على الرسول ﷺ كأمانة لتبليغها إلى البشرية.

هناك إجماع لكل التقاليد والمدارس الإسلامية: معجزة الإسلام هي القرآن شكلاً ومضموناً، فالقرآن نزل بلغة ممتازة فهو ينسجم مع روح القارئ ومع فكره.

أما من الناحية النحوية فالقرآن هو مرجع اللغة العربية الفصحى، ومرجع اللغات الدارجة أيضاً... فهو مرجع الشكل والنحو معاً، فهو المغذي للإحساس والعقل عند ترتيله وهذا ما يؤكد للقارئ أنه الوحي الموحى.

* تأويل القرآن

جاك نيرنك:

منذ قرنين أجريت عدة دراسات فلسفية للتّوراة، وهذا ما سهل فهم طريقة وصفها حتى لو كان النص هو نص أشعيا أو جان، فقد تم اكتشاف أن هذا النص تم تأليفه من العديد من الكتّاب، ولو أجرينا مقارنة بين الكتب المقدسة وأجرينا تحاليل لغوية لعرفنا ما هو أصلي وما هو مضاف، هذه التأويلات المتعددة غيرت تعامل المسيحيين مع الكتاب المقدس، هل يمكن إجراء دراسة مثل هذه على القرآن الكريم.

طارق رمضان:

هنا دخلنا في قلب الموضوع. هنا قد أشرت إلى ما يعده المسلم أحد العناصر الحسّاسة لعقيدته، لقد قلت إن النص القرآني هو كلام الله عزّ وجلّ، هناك طبعاً دراسات لغوية وأخرى على الظروف التي نزل

فيها هذا الوحي وميادين أخرى دون أن يتم اللجوء والاستعانة بالعديد من الكتاب لأن هذه هي عقيدة المسلم الذي يؤمن بأن الوحي هو كلام الله الواحد، فكان لا داعي لذلك، مع ذلك فالتأويل والفهم والتحليل لا يزال جارياً، لجعل النصوص في متناول الجميع ولجعلها مسموعة وحاضرة في عقول الناس الذين يستمرون في قراءتها عبر العصور... هذا هو الوجه الجديد للقرآن وهذه هي الديناميكية المستمرة على المستوى الاجتماعي والمستوى الأخلاقي وعلى المستوى العلمي.

جاك نيرنك:

ما هو الفرق بينه وبين نص العهد الجديد؟ في النص الأصلي للعهد الجديد تم كتابته بلغة الـ (Koine)، وهي خليط من اليونانية الرديئة ومن الصّابير (Sabir) التي تم استخدامها في الشرق الأوسط كوسيلة اتصال بين الثقافات المختلفة، أما نص إنجيل مارك لقد سمعت أنه كتب من طرف رجل يجهل القواعد وفن التصريف مثل ما هو معمول به حالياً في اللغة الفرنسية العامية حيث لا تستخدم صيغة التمني في الأوساط الشعبية.

يمكن الإشارة إلى القرآن كما هو، فلا يمكن ترجمته أصلاً وهناك الكثير من الترجمات التي لا تؤدي المطلوب، في كتبك مثلاً تكتب دائماً النص الأصلي متبوعاً بترجمته باللغة الفرنسية، هذا نوع من صفاء لغة القرآن احتراماً لهذا النص الثمين المحترم ووسيلة لإقناع القارئ بمصداقيته، فالإله لا يتكلم العبرية، ولا اليونانية، ولا العربية، فهو

يخاطب البشر الذين يحاولون فيما بعد إيصال الرسالة المطلوبة باستخدام كلمات يفهمها الإنسان، كلمات متواضعة وغير كافية.

طارق رمضان:

طبعاً ترجمة القرآن ليست هي (القرآن) لكن إمكانية ترجمته متاحة ولا بد من الالتزام بها، لقد تم تشجيع هذا العمل في التقاليد الإسلامية وخاصة عندما توسعت الفتوحات الإسلامية. ولكن يجب الاعتراف بنقطة أساسية: فالترجمة ليست القرآن، فهي نوع من التأويل لأن الترجمة تعني تفسير الشيء، كل ترجمة تعني أولاً بالفهم لأنه هو الأساس، لهذا سألتزم بهذه الطريقة البيداغوجية وهي كتابة الآيات بالعربية ثم كتابة ترجمتها بالفرنسية أو الإنجليزية أمامها، وهذا تنبيه جيد للقارئ.

ولكن لا يجب أن نميل إلى الصرامة لأن التعبير عما نريد باللغات الأوروبية ليس انتهاكاً للمقدسات لأنني في الكثير من المقالات أو في كتبي أكتفي بالترجمة الفورية، المهم هو المحافظة على المعنى الصحيح وتذكير القارئ أن الأخطاء هي أخطاء مترجمين، ولكنها ليست أخطاء في النص الأصلي.

اليوم هناك العديد من الترجمات الفرنسية، ليست هناك ترجمة ممتازة ولكنها صالحة للرجوع إلى النص الأصلي: بوساطتها يمكن التقرب من القرآن الكريم وكم هي ضرورية لذلك.

جاك نيرنك:

فهذه الترجمات ضرورية للتعريف بالقرآن ونشر العقيدة؛ لأن الكثير من المسلمين لا يجيدون قراءة اللغة العربية، فالإندونيسيون وأهل البوسنة لا يجيدون قراءة اللغة العربية وحتى في المغرب العربي هناك من لا يجيدها، وهنا يتم تحفيظ القرآن إلى الأطفال غيباً، لكن لغة البيت والشارع لا تسمح لهم باستيعاب ما يحفظونه؛ لأن اللغة العامية تختلف تماماً عن اللغة الفصحى.

طارق رمضان:

صحيح أن هناك صعوبات في فهم واستيعاب القرآن الكريم، واليوم أكثر من أمس، لذا يجب اللجوء إلى الشرح والتفسير، النص القرآني مفهوم بصفة عامة لكن هناك بعض التفاصيل التي لا يتمكن منها القراء والعديد من الناس لا يجيدون الإيقاع والترتيل، وهنا طبعاً لا يوجد في الترجمة القرآنية، ويوجد باللغة العربية فقط، وهذا واضح، لكن التقاليد الإسلامية تضع قراءة القرآن الكريم في المقدمة وخاصة من له المقدرة على التعبير عن أحاسيسه وقوة عاطفته.

جاك نيرنك:

هناك في التقاليد المسيحية نصوص شبيهة، من جهة هناك تورا لوتر، التي هي مصدر اللغة الألمانية، ومن جهة أخرى النص الإنجليزي لكنغ جيمس المستعملة من كل الإنجليز، أما النسخة الفرنسية فمصدرها



توراة القدس، وتم الاستعانة بشعراء للحصول على نص مفهوم، سهل القراءة وجميل.

ولكن هذا النص سرعان ما تم استبداله بالترجمة المسكوفية للتوراة.

لنلخص إذأ ما تقدم:

بالنسبة للقرآن موقف المسلم يعتمد على التأويل وال فهم، والنقد التاريخي ممنوع لأنه يعد كضراً، هل يمكننا قول ذلك؟

طارق رمضان:

نعم هذا صحيح، لكن يجب تجنب التعميم، مثل ما قلت لأن هذا عنصر أساسي في العقيدة ولكن كلمة (كفر) لها معنى خاص، ومن الصعب تصديرها بهذا المعنى، أعتقد أن التحليل المبني على النقد الذي يمس من قيمة النص أو يقلل من كلام الله الموحى يعرض صاحبه إلى التهميش في التقاليد الإسلامية، وهذه طبعاً نقطة أساسية.

جاء نيرنك:

هذه العلاقة المبنية على احترام النص المقدس هي القاعدة السائدة في الغرب المسيحي، أول من أراد انتقاد التوراة هو القس (ريتشارد سيمون) وكان ذلك في القرن السابع عشر لكنه تعرض إلى مواجهة مع المطران (بوسوي)، كان واضحاً في ذلك العهد أن الكتب المقدسة غير المترجمة وغير القابلة للترجمة كانت هي البنية الأساسية للسلطة

الملكية: كلما زاد جهل الشعب بالكتاب المقدس كان ذلك أفضل للسلطة المقدسية الغامضة لبيسط نفوذها، لقد استمد لويس الرابع عشر سلطته مباشرة من الله، وفي الفترة نفسها كان المسيحيون المصلحون يستخدمون النص المترجم إلى العامية. ابتداء من نصف القرن التاسع عشر قام (أدولف فون هارناك) ثم رودولف بولتمان، بعمل إعادة قراءة التوراة وفقاً للتأويل والنقد التاريخي، لكن ذلك لم يتقبله الإصلاحيون البروتستاننت ولا الأصوليون المسيحيون؛ لأن الكثير من الناس يكتون احتراماً كبيراً للنص المقدس.

وأمام هذا الوضع، نتساءل: أليس من المهم -وقد بدأ ذلك فعلاً- وجود إسلاميين مسيحيين، أي مسيحيين يحاولون تقمص شخصية المسلم ودراسة القرآن بعيون مسيحية، ومن جهة أخرى وجود مثقفين مسلمين يتقمصون شخصية المسيحي للتعمق في الإنجيل والتوراة، بهذه الطريقة أو بأخرى يجب وضع الجسور؛ لأنه لا يمكن بناء مجتمع قابل للتعايش دون معرفة واحترام متبادل.

طارق رمضان:

تدخلك يجبرني على توضيح نقطتين أو ثلاث.

النقطة الأولى هي حالة أتعرض لها باستمرار، أود الإجابة عنها بوضوح.

هناك اعتقادان: الفرق بين الكتب السماوية يرجع إلى تخلف ناتج عن الزمن فقط. أما بخصوص الأسلوب فنحن أيضاً في وقت من

الأوقات كنا نشك في وضعية النصوص الموحاة ثم تراجعنا عن ذلك، أما اليوم فالمهم هو الدراسة العلمية.

للعلم أن الإسلام والمسلمين يعانون من التخلف في الدراسات العلمية في المواد الدينية والثقافية، ويجب تطوير ذلك والاهتمام بالظاهرة النقدية التي أصبحت المعيار العالمي للدراسات العلمية الحديثة.

لننظرنا إلى تاريخ الحضارات أفهم أنه يجب علينا تطوير هذا الجانب.

هذه ظاهرة طبيعية وإنسانية ولكنها ليست في حد ذاتها علمية بحتة، يجب أن تكون قواعد الحوار واضحة، ولو قلت مثلاً على أي تصور أنه من أساسيات عقيدتي فهذا لا أساس له وغير عادل؛ إذ يدل ذلك على أن ما أؤمن به هو تعبير عن تخلفي ويجب عليّ تطويره، وكأن الاعتقاد الراسخ والصحيح هو في أيدي التاريخ الخاص أي تاريخ العرب.

لا يجب خلط وضع العالم الإسلامي على المستوى الاقتصادي نتيجة التخلف الملحوظ، والتخلف الديني والثقافي.

فهذا الانزلاق خطير ولا أساس له لأنه سوف يفهم منه الكثير أن الحوار لا يمكن إجراءه إلا بعد أن يمر المسلمون بالمراحل نفسها التي مر بها الغرب، فهذا يعني عولمة تاريخ خاصة وتمجيد قيمها وأساليبها، حضارتان وديانتان، إذاً أردنا التكلم عن المسيحية والإسلام لأن لكل منهما أساسياته المختلفة وتاريخ خاص بكل منهما، وهذا الدين لا يعد مرجعاً ثابتاً للآخر حتى لو كان الواحد متقدماً عن الآخر.

كل حضارة مطالبة بإيجاد الحلول المناسبة لمواجهة التطورات دون المساس بأحد عناصر العقيدة وبشخصياتها وكيانها، لقد شرحت الكثير من المرات لأصدقائي المسيحيين، واليهود، والانسيين: انتبهوا! إنكم لا تمسّون عنصراً يتطور عبر التاريخ، بل تمسّون عنصراً من أساسيات العقيدة.

والسؤال المطروح هو: هل المسلمون قادرون بالرغم من اعتقاداتهم أن القرآن هو كلام الله الموحى على مواجهة تحديات العالم الحديث، والتعددية مع أنهم يؤمنون وبثقة مطلقة بمرجعية كتابهم؟ هذه نقطة أولى.

العنصر الثاني الذي يجب التركيز عليه، هو التعاون المتبادل الذي من المفروض أن يكون موجوداً... فهذا شيء أساسي، أعتقد أنه للأسف قد تقدمنا في هذا الحوار من قبل أكثر من الآن لسببين اثنين، من جهة المستشرقين الذين عرفناهم بداية هذا القرن كانوا يتحكمون في اللغة العربية تحكماً جيداً، كما كانوا يعرفون العالم الإسلامي معرفة جيدة، هناك شخصيات مثل ماسنيون، وبيرك، ولاوست أو غارديت كانوا مثقفين وذوي مستوى عالٍ في اللغة العربية، وكانوا يفهمون المنطق الإسلامي أكثر من المستشرقين الحاضرين المتخصصين في الشؤون الإسلامية.

هؤلاء للأسف مهتمون بتحليل الوضع الاجتماعي والسياسي للجماعات الإسلامية، مهما يكن فنحن بحاجة إلى حوار يهتم بما فوق الشؤون الاجتماعية. يجب أولاً التأكد من أن هناك فهماً متبادلاً للمراجع الدينية والثقافية (وهذا هو ما نقوم به الآن)، إعداد كتاب مثل الذي نحن الآن منكبون على إعداده، أي البدء من البداية، البداية



الحقيقية، الحوار الحقيقي، دون ذلك سوف نضيّع الوقت في تحاليل هامشية تجرنا أخيراً إلى الجانب السياسي والاجتماعي.

أعتقد من جهة أخرى، أن على المسلمين الذهاب في هذا الاتجاه. عند إقامتي الأخيرة ببريطانية تأكدت أن ثلاثة أو أربعة طلبة مسلمين باسروا دراساتهم العليا في علوم اللاهوت المسيحية، هذا عدد قليل، لكنه مهم لأن المسلمين لهم فكرة كافية عن الدراسات الدينية والشؤون المسيحية التي تتسم بالسخرية، والانهازمية أمام الأيديولوجية الحديثة وكأنه لم يبق شيء من العقيدة المسيحية. حتى الثالوث المقدس أصبح لا يعني شيئاً إلى ما يعتقد به المسيحي، أعتقد أن أقل ما يمكن عمله، إذاً كنا نريد المحافظة على احترامنا هو معرفة ما يقوله الآخر عن عقيدته إذاً أراد بدوره معرفة ما نكنّه نحن لعقيدتنا.

لقد أصبت، يجب الإشارة وبقوة إلى العجز في حوار بناء وفي العمق.. لأن الحوار الذي يهتم بتحليل كل ما هو سياسي لا يوصلنا إلى الاحترام الذي نصبو إليه.

*** العلاقة بين الديانات: الإسلام هو الفائز**

جاك نيرنك:

أريد إغلاق الفصل المخصّص للقرآن الكريم: هذه فعلاً نقطة الخلاف لأن الإسلام يعد حقيقة أنه كلام الله أنزله على محمد ﷺ وأنه لا يمكن المساس بأي شيء منه، ويجب الالتزام به التزاماً كلياً، أمام

هذا التصلب الإسلامي هناك ديانتان تناديان بتوحيد الله مهددتان في كيانهما: فالإسلام دين مبني على التوحيد ويركز على نجاح الرسول ﷺ في نشر هذا الدين، أما المسيحية فمصدرها في وفاة المسيح مع أن هذا تم إلغاؤه بعد عملية البعث في عيد الفصح. فاليهود عاشوا مدة طويلة مضطهدين ومشتتين، نجاحهم اليوم مؤقت لأنه مرهون بمواجهتهم مع الفلسطينيين ذوي الأغلبية المسلمة والمسيحية.

من جهة أخرى فقد نجحوا في الدنيا ولكنهم خسروا الآخرة.

لنتذكر الوضع التاريخي: فالرسول ﷺ ولد سنة 570، وبدأت مهمته سنة 610، وسنة 622 هي سنة الهجرة؛ لأن المسلمين المضطهدين في مكة لجؤوا إلى المدينة المنورة.

توفي الرسول ﷺ سنة 632: كان انتشار الإسلام شيئاً عظيماً، في سنة 732 شهدت فرنسا معركة بواتيه، وبعد قرن من وفاة الرسول ﷺ كان هناك جيش إسلامي وصل إلى قلب فرنسا، في تلك الحقبة كانت كل شمال إفريقية تحت راية الإسلام، لم يعتنق كل الناس الإسلام، لكن ذلك سوف يأتي شيئاً فشيئاً، إسبانية كلها تقبعت تحت راية الإسلام أيضاً حتى لو بقي الكثير من الإسبان على ديانتهم المسيحية أو اليهودية، أما القدس وفلسطين وسورية فقد فتحتها الجيوش العربية.

تبقت تركية وأناطوليا، تحت قبضة بيزنطا، خليفة الإمبراطورية الرومانية، وبقيت كذلك الإمبراطورية الفارسية وديانتها زرادوستا، (وزارادوستا هو نبي عاش 600 سنة قبل الميلاد)، لكن العالم توسع

حتى بلغ نصف البحر الأبيض المتوسط، وقد تم تنظيمه عبر قرن، ما هو سبب هذا المد الإسلامي السريع؟

في نظرة كاريكاتورية للتاريخ يدّعون أن هذا التوسع تم بوسائل حربية دموية يتخللها القمع والنهب وإسلام الشعوب بالإكراه، هذه الصورة المعتادة التي ألصقها الغرب بالإسلام الغازي العنيف.

لكن هذه الصورة الموجزة غير صحيحة، كيف تستطيع بعض القبائل العربية المكونة من البدو التي قدمت من مدن الجزيرة العربية أن تغزو نصف الإمبراطورية الرومانية بالإكراه؟ الحقيقة غير ذلك.

لقد شرع الإسلام في أسلمة الشعوب المحلية بسرعة البرق وخاصة المسيحيين منهم باستثناء اليهود، أقلية مسيحية بقيت بالشرق الأوسط وخاصة في مصر، وهذا يدلّ على التسامح وعدم الإكراه في اعتناق الدين الإسلامي، هناك لغز في كل هذا: لماذا اعتنق المسيحيون الإسلام بسهولة عند احتكاكهم به؟ ما الذي جعلهم ضعفاء أمام الإسلام؟

أسطورة الإسلام في القرن السابع لها عدة أوجه: فهي دينية وسياسية أكثر مما هي عسكرية، الرسول ﷺ لا يرضى إلا بالنصر، وله ذلك، لو تأملنا في مؤسس المسيحية، سوف نستنتج أن مسيرة المسيح كانت فاشلة، وكانت وفاته فظيعة، وهذا ما لم يتحمّله الإسلام لأن المسيح من الأنبياء، والقرآن يوضح أن اليهود يظنون أنهم قتلوا المسيح، لكنهم في الحقيقة لم يقتلوه لأن الله رفعه عنده.

طارق رمضان:

هذا هو بالضبط ما حصل. واقعة صلب المسيح وقتله كما جاء في الإنجيل لم يؤكدّها القرآن، بالعكس. كما قلت لقد (شبه لهم ذلك كما يقول القرآن) شبه لهم أنهم قتلوا المسيح، وهذا لم يحدث. في التقاليد الإسلامية واقعة صلب المسيح لا تخص المسيح نفسه، فالقرآن يؤكد نبوته وانفراده بالرسالة ولكنه لم يؤكد واقعة الصلب، ولا طبيعة الألوهية.

من جهة أخرى ورد في الإنجيل أنه عندما صلب (صرخ) (يا الله لماذا تخليت عني)، هذا مناقض تماماً لما ورد في القرآن الكريم.

جاك نيرنك:

هناك شيء أساسي في تفاؤل الإسلام، عكس تشاؤم الديانة المسيحية.

* الأسطورة المسيحية والإحساس بالذنب الدائم

جاك نيرنك:

لنرجع إلى ما أشرت إليه قبل قليل، وهو (الخطيئة الأصلية) أنا أقول أسطورة الخطيئة الأصلية؛ لأننا لو قلبنا التوراة من كل النواحي سوف لا نجد كلمة (الخطيئة الأصلية) حسب ما ورد فيها، فقد أخطأ آدم وحواء، وهو في الحقيقة خطأ يمكن أن يرتكبه كل إنسان وهذا ما حصل فيما بعد.

وهذا يدل على أن الإنسانية ضعيفة ومعرضة للخطأ، ورد في التوراة أيضاً أن آدم وحواء طردا من الجنة، طردهما الله سبحانه وتعالى ولعنهما ولم يترك الفرصة لليسوع للتكفير عنهما.

هذا التكفير بموت المسيح، لم يتقبله المسيحيون حتى يومنا هذا، فالمسيحيون لا يفهمون كيف يرضى الله أن يموت نبيه، أو بالأحرى (ولده)، لإشباع غضبه، الله مثل هذا يتصرف تصرف مستبد من العصور القديمة.

عند كتابة الإنجيل كان الإحساس بالذنب إحساساً جماعياً لا فردياً، كل العائلة تعاقب إذاً أخطأ أحد أفرادها، في المناطق البعيدة من البحر الأبيض المتوسط لا زالت هذه الظاهرة موجودة، في جزيرة كورسيكا، وصقلية وفي جبال لبنان.

نجد في الحفلات المسيحية وفي نصوص المسيحية، الكثير من الادعاءات بخصوص هذه الأسطورة، أسطورة (الخطيئة الأصلية) وهي أسطورة رهيبة، القرآن يتكلم أيضاً عن خطأ آدم وحواء، وهو خطأ طبقاً للأصل لكل أخطاء الإنسانية، فالله يغفر لهم فوراً، المسيحيون واليهود يقولون إن الله رحيم، ولكنه يبدو أرحم في الإسلام أكثر من رحمته للمسيحيين.

طارق رمضان:

طريقة تشبيهك لقصة آدم وحواء لدى المسلمين والمسيحيين قريبة جداً من الواقع، لو ذهبنا إلى أبعد في التحليل والمقارنة، يمكن

أن تقول إننا نمسّ نقطة حساسة وسوف أركز عليها كثيراً؛ لأن ذلك يتعلق بالمأساة التي تولد من جراء عدم فهم ما ورد في الكتاب المقدس بخصوص هذه الأسطورة، سوف تقول بكل بساطة: كيف أراد الله ذلك؟ بالنسبة للتقاليد الإسلامية هناك شيئان مهمان في قصة آدم وحواء سوف يسهمان في شرح تفاؤل المسلمين وثقتهم في النفس عكس المأساة والتشاؤم المسيحي.

في التقاليد الإسلامية، عند بداية الكون، انبثقت الإنسانية كلها عبر آدم، وجاءت لتشهد أن هناك معاهدة بين الله وعباده، طلب الله من عباده أن يشهدوا أنه إلههم، وكان رد البشرية جمعاء: نعم نشهد لك بذلك. هذه الواقعة مهمة جداً لفهم كل ما يأتي من فوق، لماذا؟ لأنه وفقاً للتقاليد الإسلامية، بداخل كل إنسان طموح للفطرة، فهذا قريب من فكرة (ميرسيا الياد) عندما يقول إن البعد الفكري يشارك في تكوين الضمير الإنساني، في الإسلام هذا البعد موجود في قلب كل مسلم حتى في قلب من يتكر له فيما بعد، الحنين إلى الفطرة باق.

بعبارة أخرى إن العقيدة راسخة وليست مضافة ويمكنها الزوال.

هذا شيء أساسي لا نركز عليه كثيراً، مع أنه يسهم في تصور الإنسان الخاص، إن العقيدة الأصلية مخفية، ولاكتشافها يجب البحث عنها وإعادة اكتشافها، فهي معاكسة للتقاليد الفلسفية العقلانية مثل فلسفة (ألبير كامو) التي تقول: العقيدة هي القفز من الإدراك إلى شيء آخر، أما (كانت) فلم يقل شيئاً آخر عندما ادعى أنه يجب ترك

المعرفة للتفرغ إلى الإيمان، في الإسلام جغرافية الكفاية مختلفة ولا تتقبل (القفز) إلى أبعد، في دائرة المعرفة التي تختلف جوهراً ونوعاً، بالعكس يجب التراجع والرجوع إلى القلب (الذي ينفث شيئاً ما) قبل أن يقوم العقل بإعداد شيء ما بخصوص الحقيقة العلمية، هذا هو الفرق، وهو فرق كبير جداً.

لورجعنا إلى آدم، هناك توضيح جديد: العقيدة الأصلية مؤكدة، ولم تأت من الخطيئة، لكنها على ثقة، إنه بعد الخطيئة هناك تسامح، الثقة موجودة باستمرار لأن الارتقاء إلى الله هو نفخة طبيعية والإنسان يعرف ما هي مسؤوليته الأولى وما هي نقطة ضعفه، هناك ارتباط متواصل بين الإحساس بالمسؤولية والثقة بالله عز وجل وتسامحه مع عبده، هذا من طبع الإنسان، تاريخه وأصله، يمكن الآن التعبير عن العنصر الأساسي الثاني الذي ينتج من الإدراك: الإنسانية الإسلامية مبنية على تصور لبراءة الإنسان، فالإنسان يولد بريئاً ولا يصبح واعياً إلا عند بلوغ سن (الرشد) عندما يصبح متمتعاً بالضمير، حتى ذلك الحين فهو منسجم مع التكوين مثله مثل العصفور المنسجم مع الطبيعة، في كل هذا يشارك العقل والضمير ويستسلمان لأوامر إرادة الإنسان الذي يتميز بالحرية، في كلتا الحالتين، الكلمة نفسها وردت في القرآن، الإسلام معناه (الاستسلام).

فهو دين يبني المسؤولية على الثقة، والثقة هي الخشوع، ليس ديناً مبنياً على الإحساس بالذنب، فالإحساس بالذنب لا وجود له في الإسلام.

جاك نيرنك:

المسيحية بقيت لقرون مبنية على الإحساس بالذنب، هذه الحالة أصبحت غير مقبولة اليوم، يمكن أن يكون ذلك بسبب الدنيوية التي أصبحت بمنزلة وحي داخل الوحي المسيحي وهي نهاية ما توصل إليه المسيحيون لمسامحة أنفسهم بأنفسهم، لقد خفّ الإحساس بالذنب اليوم، واللجوء إلى الوسيط لطلب الغفران شيء رائع.

بالرغم من ذلك، ومنذ البداية هناك تصوران لقدم المسيح، هناك التصور العام: الكفارة عن خطأ كوني، كفارة دموية بالطبع. أما التصور الثاني فهو تصور أكثر تفاؤلاً، هو تصور (ايرني ليون) الذي يقول إن المسيح جاء لتحسين المخلوقات وأداء الرسالة، وظيفته ليست وظيفة ضحية، كان بإمكانه تفادي الموت وعدم صلبه، لكن ذلك كان ليس بضروري، يمكن للإسلام توضيح هذه النقطة بالذات ومن ثمّ توضيح عقيدة المسيحيين.

طبعاً اختلاف المسلمين والمسيحيين بخصوص أسطورة خلق البشرية نتج عنه اختلاف في حياتهم وتصرفاتهم اليومية، هل يمكن تلخيص كل هذا بالقول إنه في الإسلام (كل شيء غير محرم فهو مباح)؟

*** كل شيء غير محرم في الإسلام، فهو مباح**

طارق رمضان:

هذا لا ينطبق على أي شيء، هناك ميدانان في الإسلام يتطلبان منهجية خاصة.

الميدان الأول يخص ارتباط الإنسان بربه، والعبادة، الممارسات المسموحة هي تلك التي وردت في القرآن والسنة فقط، منها الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج التي تخضع إلى تعاليم محددة.

أما ما دون ذلك، كالشؤون الاجتماعية، والأخلاق بصفة عامة كل شيء مباح ما عدا كل ما هو محرم، ميدان المحرمات محدود جداً والإنسان له حرية التصرف واختيار ما هو صحيح وما هو خطأ، هذا ما سمح بتشعب التشريع الإسلامي في القرون الأولى بالإضافة إلى توسع العلوم والثقافة وهذا ما شجع المسلمين على المبادرة والإبداع والاختراع والتطلع.

هذه الدنيا الديناميكية الإيجابية توقفت في وقت ما من التاريخ بسبب الظروف الاجتماعية والسياسية، لا علاقة لذلك برسالة الإسلام، مثل ما قلت التي تخالف التعاليم الموحاة مع العلم أن النص لا يحرم أشياء كثيرة، فالأشياء المحرمة قليلة جداً.

جاء نيرنك:

إن تعذيب الجسم (كبح الشهوات)، الزهد في الحياة، التكفير عن الذنب، العزوبية والرهبة هي الصفات التي تجعل من المسيحي شخصاً مثالياً، فهي تعبر عن قمة التدين، وهذه الصفات ليست المفضلة في الإسلام.

الشباب المسيحي الذي ينضم إلى تنظيم ديني ويريد أن يصبح راهباً متصوفاً لابد أن يهجر العائلة، يتجرد من أي شيء، اسمه عائلته، ولا ينفق أي شيء على والديه الكبار، ولا يرعاهما ولا يؤانسهما في آخر

أيامهما، بعبارة أخرى يهجر أهله تماماً، يهجر العائلة بناءً على توصية تكررت ثلاث مرات بالإنجيل.

يقول اليسوع: (إذا لم تهجر أباك وأمك وإخوانك، وأخواتك لتتبعني وتحمل الصليب فأنت لم تتعهد باتباعي).

لنقارن هذا مع ما ورد بخصوص الوالدين في القرآن الكريم: في سورة الإسراء الآية 24 يقول الله عز وجل: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ هناك احترام لا مثيل له للوالدين، وللعائلة أيضاً، فالإسلام لا يوصي أبداً بهجر العائلة نهائياً، وعدم رؤيتها نهائياً.

طارق رمضان:

لا، القرآن لم يوصِ بذلك، في الإسلام العلاقة بالإحسان إلى الوالدين تأتي مباشرة بعد تأكيد وحدة الله سبحانه وتعالى، فالقرآن يقول في ذلك: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الإسراء الآية 23.

ويتكرر معنى هذه الآية كثيراً في القرآن بألوان مختلفة ولكن التوصية هي نفسها، هذا هو البعد الإنساني الثاني، الوقوف أمام الله، واحترام الوالدين والإحسان لهما.

يجب الإشارة إلى أنه ورد في القرآن ذكر العائلة، والأولاد، والبنات، والممتلكات التي قد تصبح من الشهوات التي تنسي الإنسان في عبادة ربه، حتى تصبح هذه العلاقة علاقة تتسم بالأنانية وتنسي الإنسان خالقه، وتنسيه مسؤولياته تجاه ربه وتجاه الإنسانية.

في كل الأحوال يبقى الإنسان إنساناً، مرغماً على تحكيم ضميرة والرجوع إليه، فحب العائلة وعدم نسيان الله والآخرين أيضاً واجب، يجب إيجاد هذا التوازن الذي يسمح لنا بحب العائلة وفقاً للتعاليم التي تفرض علينا حب الله وتوصينا بمؤاخاة وحب الآخرين، إذاً هناك ترابط دقيق بين الأفقية والعمودية.

أما بخصوص تعذيب الجسم، والتجرد من العالم الذي تحدثت عنه، فهذا لا وجود له في الإسلام؛ لأن اختبار الإنسان لا يقاس بالهروب من العالم وهجره، أما اختبار العقيدة فيتم داخل الحياة مع الآخرين، بالسلم بالضمير وضبط النفس واحترام الحدود وذلك في كل الظروف وكل الأحوال، ليس هناك مثلاً ما يجبر الإنسان على هجر العلاقة الجنسية نهائياً، وليس هناك ما يجبره على وضع حد لحياته الاجتماعية، المهم هو العيش والتحكم في الضمير وتحمل مسؤولياته في التحكم في النفس، في قلب كل هذا هناك عمل فكري، لتعود التعبير بقوة عن كل ما بداخلنا، الروحانية الإسلامية لا يمكن تحديدها إلا وفقاً لهذه التعاليم التي هي مصدر الإسلام نفسه.

فالإسلام يفرض علينا روحانية يومية في حياتنا الاجتماعية والممارسات الخاصة بها، ممارسات المسلم لشعائره هي أحد الأمثلة على ذلك، مثل صيام رمضان، شيء عظيم أن يبقى المسلمون متمسكين بقوة بصيام شهر رمضان في هذا العصر الحديث مع أن الصيام ليس بالأمر الهين، على الرغم من أن الكثير لا يصلون، إلا أن صيام رمضان يذكرهم بالرجوع إلى الطريق المستقيم والتعبد والتقرب إلى الله وتذكّر الفقراء والمساكين والتضامن والتأزر معهم.

جاك نيرنك:

إن العذاب الذي هو أساس المسيحية يتنافى مع ما جاء في الإنجيل بخصوص اليسوع، يظهر اليسوع وهو يشارك في الولايم، ويتعطر، ويختلط مع أشخاص غير لائقين (كجباة الضرائب، التابعين للغزاة الرومان) ومجالسة العاهرات، ولكن عندما نتأمل الرسوم الدينية أو اللوحات الفنية فهو لا يضحك أبداً: يبدو كأنه حزين أو يعبر عن مأساة كبيرة، من المؤكد أنه ليس هناك تصور للرسول ﷺ لإجراء مقارنة بينهما، وهذا شيء صعب بالطبع، لكن اليسوع الحزين ذا الوجه العبوس، اليسوع المعروف بالاستقامة، المعذب الذي يمثل أيقونات الألمان، يختلف تماماً عن أيقونات البوذية لأن بوذا يبتسم.

بالنسبة للمسيحي لقد أصبح اليسوع مصدر قلق واشمئزاز، كيف يمكن الابتسام في الصلاة؟

المسيحية دين حزين في كل مظاهره، على الرغم من أن المسيحيين أناس يتسمون بالود، وحسن الضيافة وأصحاب ابتسامة دائمة، بما أنني مسيحي ومسيحي ملتزم، أتمنى أن يتواصل الحوار بين الديانات وأن يتم تصحيح ما أعده انحرافاً في الديانة المسيحية.

طارق رمضان:

ليس هناك صورة للرسول ﷺ لكن عبر السنة النبوية يتضح أنه ليس ذلك الشخص الذي يضحك حتى نسيان من حوله، أو استقزاهم لكنه يبتسم بلطف، ويمرح، ويمرح دون نسيان الإحساس بمن حوله، عبر



حياته وتأمله وتعبّده، يتضح أنه شخص ودود، يحب إخوانه، يكن لهم كل الحنان بكل بساطة، ويحسن ضيافتهم، ويداعبهم بلطف ويفرح معهم باستمرار، كان يركز على أن الحفل حفل، لذا يجب التمتع بهذه المناسبة الزاهية. وقد قال القرآن الكريم في ذلك: (وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله إليك).

* الأصول اللاهوتية للخلاف

جاك نيرنك:

أريد متابعة هذه المناقشة بالتحدث عن الخلافات من النوع اللاهوتي، الإسلام لا يتكلف بما هو لاهوتي، حيث لا يضع المسلم وقته في التأمل في الله، فالله واحد لا غيره، وهذا يكفي، فالمسلم لا يحاول أن يخترع إلهه، بعض رجال الدين المسيحيين يعتقدون ذلك أيضاً، نيكولا دي كوز مثلاً، كان يدعو إلى تفضيل اللاهوت الصليبي: الكلام الوحيد الذي يجب قوله بخصوص الله عز وجل هو عدم تعريفه فهو ليس صنم من صنع الإنسان، لنمتنع عن تعريفه، أو تحديده أو رؤيته لأن ذلك فيه نوع من التملك، اللاهوت المسيحي يرى عكس ذلك، منذ القرن الرابع أصبحت المسيحية الدين الرسمي في الإمبراطورية الرومانية، وقد أدى هذا إلى نشوب خلافات حادة بين كنيسة الغرب اليونانية الرومانية الجريئة بسبب انحراف فلسفي وتشريعي، التي تم تنظيمها وفقاً لتصور الإمبراطورية الرومانية وبين الكنيسة الشرقية التي تضم اليهود المنتصرين والنصارى والعرب النصارى أيضاً، هؤلاء الشرقيون

لا يولون أي اهتمام للثالوث الأقدس، الذي يعد الله مكوناً من ثلاثة أشخاص: الأب، والابن، والروح القدس، أما اليسوع فيتمثل في طبيعتين إلهية وبشرية وكلتاهما في شخص واحد.

هذه النظرة الفيولوزوفية ربما هي أكبر نقطة ضعف للمسيحية. كل مرة في السنة يحتفل المسيحيون بيوم الثالوث المقدس، غالباً ما يكون القس هذا اليوم محرراً فالحاضرون يتناوبون ويفكرون في أشياء أخرى، القس يعلم المسيحيين الإيمان بالثالوث المقدس وفقاً للصيغة اليونانية التي أصبحت لا يهتم بها أحد؛ لأن الفرق بين الطبيعة والإنسان لا يعني شيئاً وهذا لا يغير من سلوك المسيحي في الحياة اليومية.

علماء اللاهوت المسيحيون يصرون اليوم أكثر على قلب العقيدة المسيحية، المهم هو الإيمان بالله الواحد، كيف يمكن التكلم عن العقيدة الأساسية مع عبادة الثالوث المقدس؟

الإيمان بالله، الأب، يعني الإيمان بالله الواحد، إله اليهودية والمسيحية والإسلام، كل هذه الأديان الثلاثة متفقة على وجود الله الواحد، كلمة الأب لم ترد في القرآن تحفظاً من أن يؤدي ذلك إلى الشرك، في قصص الأساطير يعتقدون أن الله له علاقة بالنساء وينجب الأبناء، إذا أردنا تطبيق التوحيد في ذلك العصر، يجب الإصرار على أن الله لم يلد ولم يولد، لذا لا يجب استعمال كلمة (الأب)، لهذا فالإسلام لا يتقبلها من طرف المسيحيين، لكن على المسلمين أن يعلموا أن استعمال كلمة (الأب) رمزية فقط، كان بالإمكان قول (الأم) بدلاً من (الأب)، هذا ما تشير إليه المرأة الأمريكية.

أما الإيمان بالابن فمعناه الإيمان بالله الواحد في شخص يسوع، وهذا أيضاً نوع من التعبير المسيحي الذي يتقبله المسلمون لأن يسوع هو مبعوث الله، المسيح، المعبر عن الله الأزلي.

هل هناك خلاف أيضاً في هذا؟

طارق رمضان:

على ضوء تصوراتك وتفسيراتك، لقد سمعت من مسيحيين آخرين عدة تأويلات للثالوث المقدس، مهما كان الأمر - الفكرة الأساسية - من هذه الناحية هو أنه يجب على المسلمين الإصغاء إلى المسيحيين لما يتحدثون عن عقيدتهم، بما إننا نؤمن بالله الواحد فهذا لا يعني تشخيصه في شخص أو في أي شكل آخر، على ضوء ذلك أمرنا القرآن باحترام التوحيد المسيحي، أما الثالوث المقدس والإحراج الذي يسببه إلى بعض القساوسة فهذا فعلاً شيء مقلق، ولا يمكن تجاوز هذا القلق عبر خبرتي في المناقشات الدينية أصبحت مقتنعاً أن الكلام المنطقي عن الثالوث المقدس ينتهي دائماً بالغموض.

لذا فأنا أحترم هذا الغموض، وهذا موقف نزيه بالنسبة لما يقوله المسيحيون عن أنفسهم، نحن متفقون على أن الله واحد، وأنه أرسل إلينا الأنبياء ولا يمكن زيادة شيئاً على ذلك، أما مبدأ الثالوث المقدس فلا منطوق له، لذا يجب احترام ما يعتقد المسيحيون أن هناك شيء آخر، والاعتراف أن هناك نقطة اختلاف أساسية بين الإسلام

والتقاليد المسيحية اليوم (بالإضافة إلى الاعتراف بمحمد ﷺ الذي يبقى قائماً).

جاك نيرنك:

سوف أحاول أن أشرح لك ماذا يمثل الشخص الثالث في الثالوث المقدس بالنسبة للمسيحيين، الإيمان بالروح القدس يعني: الإيمان بقوة الله سبحانه وتعالى عبر الإنسان والعالم، في الإسلام أيضاً، الله هو الموجه والمعين، فهو قريب ودائم الحضور من من يؤمن به ومن كل المؤمنين، لا نراه ولكنه قوي، لا يمكن لمسه لكنه ضروري للحياة مثله مثل الهواء، والتنفس وانبعث الحياة، الكلمة المستعملة في اللغة العبرية للتعبير عن الروح سليمة (الروح) باليونانية (بنوما) وروح بالفرنسية، لكن عندما نتلفظ بها بالفرنسية فالغربيون يجردونها من معناها، وقد قال القرآن في قرب الله من عباده ما يلي: (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)، فهو قريب من العقل كما يتخيله العقل وهو المعنى نفسه لدى المسلمين.

هل هذا التصور لله في العقل هو مقبول لديكم؟

طارق رمضان:

نعم، عبارة (قريب) تعبر فعلاً عن قرب الله من مخلوقاته، وقرب الله منا، ليس هناك غموض ولا اختلاف في وحدة الوجود لأن الله قريب من القلوب والضمير، أي قريب منا بكل معنى الكلمة، لقد أشرت إلى آية قرآنية في ذلك، هذه آية أخرى (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب)، لقد نسمع كثيراً أن مسيحياً يتحدث عن العقيدة عن قرب،

بهذه الطاقة الفكرية... ليس هناك أي تناقض بيننا بخصوص قرب الله منا أو بخصوص العقيدة. فالعقيدة التي توجد في الثالوث المقدس هي المشكلة، هذه مسألة مهمة لكن لا أظن أن ذلك سوف يسبب تناقضاً كبيراً بخصوص قرب الله منا، النقاش اللاهوتي لا يزال مفتوحاً، أو بمعنى آخر لقد وصلنا إلى أقصى الحدود بهذه التأويلات المختلفة، ولكن ما يهمنا في النهاية علاقة الإسلام بالمسيحية، أو علاقة الإسلام والمسيحية واليهودية وما تفعل بنا العقيدة تجاه قربنا من الله عز وجل. من هذه الناحية نتفق جميعاً على ضرورة الحوار مع الله والسلوك المتماسك أمام الآخرين.

* ثلاثة أديان يربطها التاريخ

جارك نيرنك:

مع ذلك يجب تذكير القارئ أن العقائد الثلاث التي دعت إلى التوحيد جاءت متتالية، وهناك نسب بينها، ولم تتطور منعزلة عن بعضها، فأصولها ترجع أربعة قرون للوراء عندما كان البدوي إبراهيم عليه السلام يتنقل بأغنامه بين العراق ومصر: هو أول من اكتشف العقيدة، عقيدة الإله الواحد بكل ما يقترن بها من غموض وتناقض.

الأصل المشترك هو مغامرة سيدنا موسى عليه السلام بالخروج من مصر مع قبائل بني إسرائيل، عندما أراد هذا الشعب القبول بحياة الصحراء القاسية بدلاً من العبودية في بلد غني. وأخيراً ما يربط الإسلام والمسيحية هو المسيح الناصري، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله

في القرن السابع ليلبغ الشعوب التي لا تعلم أن الله واحد، هل يمكن أن تشرح لنا باختصار المناخ الديني والسياسي والاجتماعي الذي بدأ فيه محمد ﷺ رسالته في مهد الرسالة الإسلامية - الجزيرة العربية - ؟

طارق رمضان:

هذا صحيح، عند بداية الوحي كان عمر الرسول ﷺ أربعين سنة، وكان يعيش في الجزيرة العربية، في مكة المكرمة بالذات، وكانت مكة تحتضن الكعبة المشرفة، كانت عبارة عن معرض للتجار، وخاصة المشركين، عبدة الأصنام الذين يعيشون حولها، ويقصدونها للحج، يعيش فيها أشخاص من أهل التوحيد من يهود ونصارى، لكن الدعوة ستنتشر في المدينة أكثر لتعاطف أهلها مع الرسول ﷺ.

كان الرسول ﷺ على اتصال باليهود والنصارى، كما كان على اتصال بأشخاص آخرين يؤمنون بالتوحيد ويرفضون الشرك يسمونهم الحنيف، وهي عبارة يوصف بها إبراهيم عليه السلام، انطلق التوحيد من هنا وبكل بساطة، حتى أصبح متطابقاً للتعاليم الإسلامية الحديثة العهد التي نزلت عن طريق الوحي، التي أرست النسب المشترك بين الديانات الثلاث: الإسلام واليهودية والمسيحية، كما ورد في القرآن الكريم.

بدأ اضطهاد المسلمين الأوائل بداية الوحي، عانى المؤمنون بصبر وتحملوا كل أنواع التعذيب والتنكيل والإهانة، قاوموا بسلبية دون اللجوء إلى العنف مدة ثلاث عشرة سنة، وبعدها بدؤوا الهجرة إلى المدينة سنة 622هـ، بدأ بعدها انتشار الرسالة على نطاق واسع. لقد أصبت

عندما قلت إن التوحيد يرجع إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي عبر عن التوحيد الصادق بوضع ثقته كاملة في الله عز وجل (مع العلم أن التوحيد ظهر مع آدم، وإبراهيم ليس أول من دعا إليه)، كل الأنبياء الآخرون، آدم، ونوح، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وآخرون كلهم جاء ذكرهم في التقاليد الإسلامية. هذه التقاليد التوحيدية هي التي نهضت في الجزيرة العربية لمحاربة المشركين.

لقد أشرت قبل قليل أن محمداً صلى الله عليه وسلم بعث لقوم لم يأتهم نبي من قبل، فالقرآن يشير إلى هذا النبي الأول، ولكن بمعنى محدود جداً، المهم بالنسبة للمسلمين هو العقيدة والاعتقاد أنه آخر الأنبياء والرسل ورسالته هي آخر الرسائل، فهذا الاعتقاد يعبر عن عالمية الرسالة لأننا أمام الوحي.

هذا غير مفهوم أحياناً، لكنه نقطة مركزية في الإيمان الإسلامي وهذا يعني أن هناك إنكاراً للعقائد الأخرى والتعددية، ولكنه يعني أن الرسالة ليست موجهة للعرب وحدهم، عكس ما كان يظن شاتوبريان في القرن الثامن عشر عندما قال (دين العرب) عندما تكلم عن الإسلام، هذا التصور يتناقض تماماً مع اعتقاد المسلمين، ولا يتماشى الأرقام لأن العرب اليوم يشكلون أقل من ثلث المسلمين في العالم.

جاك نيرنك:

الشعب المسلم الأكثر تعداداً هم الإندونيسيون وليس الشعوب العربية.

طارق رمضان:

بالضبط.

جاك نيرنك:

عند بداية أسطورة الإسلام التي قادت الجيوش العربية من مكة حتى بواتيه بفرنسة اختفى اليهود والنصارى ولم يبق من اليهود اليوم إلا أقلية من العائلات اليهودية تعيش في إسرائيل وتمارس المسيحية في جو من الشك والنقد مثل ما نتصور، هذا الاختفاء لأحد مركبات المسيحية شيء مدهش، الكثير من المسيحيين الشرقيين ذوي الأصل اليوناني تمركزوا في بيزنطا ومصر وفلسطين ولبنان وسورية والعراق، أما في القدس فقد اختفى اليهود والنصارى كلهم، لقد حان الوقت للتساؤل: لماذا تم مسح هذه الجالية من التاريخ مسحاً كاملاً؟

عبر القرون الأولى من المسيحية، تم عمل تجمع ديني لمحاولة تعريف طبيعة المسيح مما أدى إلى إجراء نقاش حول الثالوث المقدس المذكور آنفاً، كانت المشادة مثيرة بين المسيحيين الشرقيين والمسيحيين الغربيين، بين الساميين واليونانيين، محاولة تعريف الله وتعريف طبيعة المسيح بطريقة فلسفية وشرعية قوبلت بالرفض من قبل الشرقيين... لذا اعتنق الكثير من اليهود المسيحيين الإسلام؛ لأن هذه النقاشات الفلسفية لم تثر اهتمامهم ولم تحظ بقبولهم، فهم لا يفهمونها ويعتقدون أن تأكيد الله الواحد فيه من القوة ما يكفي لإقناعهم بالتوقف عن النقاش وعدم الذهاب إلى أبعد من ذلك، فهذا انتصار للإسلام الذي جذب إليه

نصف المسيحيين تقريباً؛ لأن المسيحية مزّقتها الانشقاقات، ما عدا روما حيث بقي المسيحيون موحدين كثرت الطوائف منهم: الاريسيون والنسطوريون والمونوفيزيون (يؤمنون بالطبيعة الواحدة)، والدوسيت (Docetes) والبيلاجيون. وهذا نوع من السلطة الدينية، حيث تعرض كل طائفة رؤيتها الخاصة في المسيح متناقضة مع الطوائف الأخرى، بعضهم يدّعي أن المسيح ليس برجل وليس بالإله، مع كل ما في ذلك من روايات متنوعة، يشاركونهم في هذه البدع الشرقيون الذين هم تقليدياً، لا يتقبلون الفلسفة اليونانية، ولا القانون الروماني، ولا الكبرياء الغربي؛ لأنهم كلهم يتحاليون على الإرث الفكري الخاص بالمسيح.

عبر هذه الرؤية، يمكن القول إن محمداً ﷺ أدخل إصلاحات على المجتمع اليهودي المسيحي، فيما بعد وفي القرن السادس عشر ظهر إصلاحيون آخرون في الغرب مثل كالفان، زونجلي، ولوثر... يبدو أنه كان من الضروري أن يظهر إصلاحيون بعد كل مدة لإجراء تعديلات عنيفة.

هل هذه الطريقة التي انبثق بها الإسلام تبدو مقبولة منك بوصفك مسلم؟

طارق رمضان:

إن تصور الإسلام للتاريخ الإسلامي أن الله بعد حقبة زمنية منتظمة يرسل أنبياء لإجراء عمليات إصلاح وتوجيه الناس نحو ما هو مهم، إن تحليل المسيحي أن يقول: يمكن أن محمداً ﷺ جاء لتجديد التقاليد، هو الأقرب لما نعتقد، مع فرق بسيط حيث قلتم إن محمداً ﷺ

جاء لتجديد معطيات خاصة. فالمسلمون يعتقدون أن النبي محمداً ﷺ جاء لإدخال إصلاحات وتوجيه الناس نحو ما هو أساسي، وتصحيح الانحراف الذي حصل لدى المسيحيين (بخصوص توحيد الله سبحانه وتعالى)، من الواضح أن العديد من المسيحيين واليهود المسيحيين وجدوا في هذا التصحيح ما كانوا يعتقدونه بعيداً عن كل الصراعات الدينية التي بدت لهم غامضة، بالإضافة إلى عدم فهمهم لتأويلاتهم وتفسيراتهم التي تتم بلغة يونانية صعبة.

هذه المراجع اليونانية سببت العديد من التعقيدات للمسلمين أيضاً لتأثرهم بالمراجع الفكرية ذات المفردات المبهمة. فالمسلم لا يتأثر عند وصف الرسول ﷺ بالمصلح، فهو نفسه قدم نفسه بوصفه رجلاً مصلحاً، جاء للإصلاح وإكمال الرسالة، يقول القرآن في ذلك: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ سورة الأحقاف آية 9.

هذا صحيح بالنسبة لبعض التبعية المسيحية الذين يشعرون أنه يجب عليهم اتباع بساطة المسلمين، ولكن ذلك موقف أساسي تجاه كل الديانات السابقة.

جاك نيرنك:

هناك مركبان في بنية الإسلام الأصلي. من جهة هناك سكان الجزيرة العربية الوثنيون الذين أسلموا وتركوا الشرك وصدقوا التوحيد، ومن جهة أخرى استيلاء المسيحية على نصف العالم وتنصير العديد من اليهود، والغريب أن الأراضي التي هجرها اليهود المتنصرون

بقي فيها كثير من اليهود لم يعتنقوا الإسلام لأن المسلمين لم يجبروهم على ذلك.

* لا إكراه في الدين

جاك نيرنك:

هناك آية قرآنية تقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ البقرة: 256، مبدئياً المسلمون يطالبون من غير المسلم الدخول في الإسلام طوعاً، تاركين له الحرية في الإسلام بصدق وفقاً لما تمليه عليهم قلوبهم، من المبادئ الإسلامية أيضاً أن لا يسلم أحد والسيوف مسلط على رأسه، لكن هذا لا يعني أنه ليس هناك من طغى وضغط على غير المسلمين لإسلامهم عن كره، لكن ما هو لافلت للنظر هو تمسك اليهود بدينهم وعدم اعتناق الإسلام، ربما لأن الإسلام لم يأتهم بشيء جديد، شيء يفاجئهم ويغيرهم.

طارق رمضان:

ربما مثل ما قلت، لكن لكي نتمكن من تفسير هذه الظاهرة، يجب إجراء دراسة معمقة حول نوعية العلاقة التي كانت بينهم وبين المسلمين والعلاقة التي كانت بينهم وبين المسيحيين. يبدو واضحاً أن اليهود وجدوا أنفسهم بين موحدين مثلهم وهذا ليس بجديد عنهم ولا يضيف شيئاً لعقيدتهم، إن انفراد اليهود بقراءة الدم، وترابطهم الاجتماعي هو الذي ساعدهم على التمسك بدينهم وعدم الدخول في الإسلام، لا يجب إهمال الظروف التاريخية أيضاً، لقد حصلت اختلافات بين

اليهود والمسيحيين في المدينة، كما حصلت بينهم تحالفات أيضاً، في الحقيقة كان هناك بين اليهود والمسلمين تسامح متبادل واحترام متبادل أيضاً لعقيدة هذا وذاك.

الكثير من المسيحيين بقوا على ديانتهم، لا يجب الثناء كثيراً على تاريخ الإسلام لأنه تاريخ المسلمين، تاريخ الإنسانية، مع العلم أن الكثير من المسلمين لا يتمسكون بتعاليم الإسلام، مع أن العديد منهم أهينوا واضطهدوا وعُذِّبوا حتى الموت أحياناً.

لا شك أن هذه الحقائق هي الواقع الذي حصل مع بعض الاستثناءات، يجب المحافظة عليها في الذاكرة للتبديد بها.

جاك نيرنك:

إذاً الغزو الإسلامي في بدايته كان غزواً تبشيراً، ليس مجرد انطلاق حفة من البدو الذين خرجوا من صحراء الجزيرة العربية لتكوين إمبراطورية، لقد أسهم في هذه الحملة التبشيرية تجار، وقوافل، وجيوش أقامت سلطة سياسية امتدت من الجزيرة العربية حتى إسبانية.

هناك تفسير آخر لهذا الانتصار الإسلامي، يمكن إضافته إلى التفسير الأول، المسيحيون واليهود الشرقيون المتضررون كانوا جزءاً من كوادرات الإمبراطورية الرومانية، عندما حلت الإمبراطورية الجديدة محل الإمبراطورية الرومانية، فعلوا ما يفعله الأعيان: الانضمام إلى

الأقوى، أما اليهود، فكانوا متعودين الصمود خارج السلطة ورغم أنفها، كانت علاقتهم دائماً صعبة مع السلطات الحاكمة، فكانت تارة مهمتهم جباية الضرائب، وتارة ممارسة أعمال التسليف للأمرء، وقد تم اضطهادهم أحياناً لأنهم أصبحوا أغنياء عبر هذه الممارسات المالية.

عندما وضعت الإمبراطورية الإسلامية أقدامها في شمال إفريقيا دخل الكثير من النصارى الإسلام بمحض إرادتهم إلى حد أنه لم يتبقَّ أي أثر للمسيحيين مع صمود اليهود كالعادة، تركزت هذه الجاليات اليهودية في مراكش وجربة منذ أكثر من ثلاثين قرناً، الهدف من هذه الاعتبارات هو إفادة القارئ الغربي أن العلاقة بين الأديان الموحدة لم تتسم دائماً بالعنف والقوة، إذا أردنا التكلم عن عمليات التبشير بالقوة فقد حدث ذلك في القرن السادس عشر عندما استعاد ملوك إسبانية الكاثوليك فردينان وإيزابيل السلطة من المسلمين.

طارق رمضان:

شكراً على تذكير العالم بهذه الحقائق التي تناستها الأجيال، سوف يتضح للجميع الآن أن الإسلام لم ينتشر بالسيف المسلط على الرؤوس كما يعتقدون، أو بعبارة أخرى لم ينتشر الإسلام بالإكراه كما يظنون، كان من الضروري معرفة بعض العوامل الأساسية التي أسهمت في انتشار الإسلام وقد قمتم مشكوراً بتوضيحها، أما الادعاء أن الإسلام انتشر بالسيف والحرب، والاحتلال والقتل فهذا افتراء على الإسلام ولا أساس له لأنه من المستحيل الانتشار بهذه القوة والتوسع بهذه القوة

بالسيف والإكراه عبر مئة سنة، كان هناك اهتمام ديني بالطبع، ولكن هناك اهتمام سياسي أيضاً واقتصادي واجتماعي وثقافي أحياناً، حالة الحرب كانت موجودة بالطبع، لكنها لم تكن هي أساس النصر، كما لم تكن العامل في قبول الإسلام من بعض الشعوب الأجنبية.

هذه النظرة قد تسمح بمحو الاعتقاد الخاطئ بأن الإسلام بطبيعته دين حرب واحتلال، أتمنى أن يلقي شرحك هذا إقبالاً من القراء ويسمح لهم بمراجعة معلوماتهم بخصوص توسع الإسلام والعمل على تصحيحها.

جاك نيرنك:

لقد سمحت لنفسني بالإصرار على هذا الجانب التاريخي البعيد لأمسح من ذاكرة العالم هذه الصورة السيئة التي حبكوها حول انتشار الإسلام بالقوة والإكراه وعدم تسامحه مع الآخرين.

في أواخر هذه الألفية الثانية، انتصر الغرب على عدوه التقليدي اللد الشيوعية، والعدو الأخير المتبقي هو الإسلام كما هو سائد اليوم.

عادة المسلم ألا يغير ديانتَه؛ لأن ذلك نوع من الرجس، بالإضافة إلى أنه لا يرغب ذلك، أثناء الاحتلال الفرنسي للمغرب العربي التي تجاوزت القرن، ومع كل الإغراءات الفرنسية لم نشهد عمليات تنصير بالجملة، ما عدا بعض الحالات النادرة، مع أن عملية التنصير كان سيستفيد منها صاحبها كثيراً لدى الفرنسي المحتل.

* مصدر الصراع الحالي بين الغرب والإسلام

جاك نيرنك:

الغرب يبذل كل مجهوداته لفرض العولمة على كل ثقافات العالم، والعولمة هذه بنيت على المال، والإنتاجية، والعنف، والجنس، والجشع في السعي وراء المادة ورفض كل فطرة أخرى، الصين واليابان وتايلاند والفلبين كانت أول الدول التي انجرت وراء العولمة لكنهم لم يجنوا الأموال التي كانوا يتطلعون إليها، ويبدو ذلك أثناء الأزمة الحالية، مقاومة هذا الغرب الدنيوي الجاهل الذي لا يؤمن إلا بالتجارة والربح لا يستطيع القيام بها إلا الإسلام؛ لأن الإسلام لا يمثل بسهولة، كانت هناك مقاومة عنيفة من طرف الإسلام، فالشعب الإيراني مثلاً ثار على شاه إيران وقاومه بعنف لأنه أراد العصرنة بسرعة.

نقاشنا المقبل سوف يتركز على هذه العلاقة الخاصة بين ديانتين شقيقتين أنجبنا ثقافتين متعاكستين، لنحاول أولاً تمهيد الميدان، لنبدأ بتوضيح أن الإسلام ليس عدواً للغرب، فالإسلام يحاول بطريقة أو بآخرى المحافظة على شيء أساسي لا لصالح المسلمين والعرب فقط بل لصالح البشرية كلها.

فهذه المقاومة التي يقوم بها الإسلام هي أمل البشرية في التصدي إلى الشرك الجديد الذي لا يؤمن إلا بالمال، والسلطة، والتقنية، والجنس، والعنف، والضوضاء، ورفض أي شيء فكري، وأخلاقي أو فطري، تلك هي الأصنام التي يعبدها الغرب اليوم، فالغرب يعيش اليوم في إلحاد لا

مثيل له، لقد أصيبت عقيدته من الداخل واضمحلت شيئاً فشيئاً بعد أن فقدت السيطرة على السلطة السياسية والاقتصادية.

طارق رمضان:

لقد استعملت صيغة أعجبتني؛ إذ قلت (هذا الغرب) هذا الغرب الذي سيجد أمامه الإسلام، الإسلام العدو كما قلت، فهذا فيه شيء من الخطورة، لذا يجب أن نتسلح بشيء من الحذر، أنا عشت طوال حياتي في الغرب، وأعرف أن الغرب ليس هو غرب واحد، بل له العديد من الوجوه والعديد من المواقف أيضاً أنا أرفض ببساطة التعريف، كما أرفض تعريف الإسلام بسذاجة، ومصدر كل هذا هي الجماعات المتطرفة لكلا الطرفين.

الغرب مثل ما هو يتسم بأيديولوجية التحديث، ولا يؤمن إلا بالمرדودية، والإنتاجية، والكسب السريع، والتنافس الأعمى اللا إنساني، والتحكم في التقنية، والتقدم مهما كان الثمن، كل هذه الصفات التي تعبر على أحد وجوه الغرب تتعارض مع قيم الحضارة الإسلامية، فالإسلام من طبيعته وأساسياته لا يتقبل هذه الحياة ولا هذا النوع من التفكير لأن المبادئ الإسلامية غير مبنية على الفعالية، حتى لو قبل المسلمون التحدي، سوف يواجهون شركاء غربيين كثيرين تشبّعوا بانحرافات حضارة غربية فقدت توازنها، هناك الكثير من النساء والرجال مسيحيين، انسيين، أو من أي ديانة أخرى يشكون من الوضع السائد، وينظمون مقاومة حقيقية. من السذاجة القول: الغرب

ضد الإسلام، فالعالم الإسلامي اليوم يقاوم بقوة والمقاومة عامة. لكن العالم الإسلامي لا يقاوم وحده، هناك نساء ورجال في القارتين يقاومون أيضاً، يجب على هؤلاء التحدث بلغة واحدة وصوت واحد، والتقرب من بعضهم لخوض معركة لصالح الإنسانية جمعاء والدفاع عن شرفها.

أريد ترديد مقولة لأحد الرجال المتمسكين بالعقيدة، والضمير، والتواضع وصرامة الثقافة الذي أفادني كثيراً في حياتي وهو السيد بيير دي فرزن (Pierre DuFresne)، الذي كان يشغل مدير التحرير في جريدة (Le Courrier) بجونيف، الذي كان يحب أن يقول: (لا تخطئ تجاه عدوك)، كان دائماً يريد أن يتواصل الحوار إلى أبعد ما يمكن، حتى التعهد المشترك، المتفق عليه، تعهد رجال تجمعهم العقيدة والضمير، صحيح يجب التحرك، وعدم الأخطاء في حق العدو، أعتقد أنه يجب علينا المقاومة معاً، والثبات معاً، والتصدي لهؤلاء الأنبياء الجدد، أنبياء المردودية، والفعالية وكل هذه الأصنام الجديدة الحديثة التي من أجلها تمت التضحية بالكرامة والشرف، والحياة أحياناً في ظل الألم والتهميش، هذا هو الغرب، وليس هذا هو الغرب فقط، فهناك الغرب المقاوم، وهناك المسيحيون الملتزمون، واليهود أصحاب الضمير اليقظ بالإضافة إلى الأنسيين، يجب التعرف إلى هذه الفروقات والتعمق في كل هذا لإجراء حوار بناء ومتماسك، لي العديد من الأصدقاء من مختلف الديانات، ومختلف الميول السياسية أكن لهم كل التقدير والاحترام ولا أتجرأ على الإساءة إليهم، وهؤلاء الأصدقاء هم فرانسوا، ألان، موكو، فيليب، ميشال، جان، ايريك، سيرج، كرستيان، إليزابيت، بيار وآخرون

كثيرين... كل واحد له ضمير، وقلب، وقوة المقاومة من أجل إعلاء كلمة الله، من أجل أفكار الإنسان، وضد جنونه، هؤلاء هم أصدقاء الطريق. الوقوف ضد الغرب، لا يعني أي شيء. التصدي لتجاوزات الغرب، وعنفة الرمزي، ونمط الحياة الذي يريد فرضه على الآخرين، هذا هو المطلوب، فهذا هو الشعور الصحي الصحيح، ثقافياً وأخلاقياً الذي يشعر به الكثير اليوم.

* التحالفات البناءة ممكنة، وضرورية

جاك نيرنك:

حتى لا يحصل سوء تفاهم، يجب علينا توضيح أن هذه التحالفات ليست تحالفات متطرفين، ماضويين، أو أصوليين من كلتا الديانتين. في وقت ما، وفي ظروف ما.. يمكن لجماعات (OPUS DEI) أو الطائفة المتطرفة التابعة لـ (Mgr le fever) التحالف مع أشد المتطرفين «طالبان» مثلاً لزرع الرعب في العالم.

طارق رمضان:

لقد أصبت في الإشارة إلى هذا التصور، خاصة عندما نتحدث عن (التحالف) تحالف المقتنعين الأصوليين.

لكن ما نتصوره نحن هو شيء آخر، فهو تصور رجال، رجال أصحاب عقيدة وضمير يريدون الذود عن شرف الإنسانية، فالغرب أنتج رجالاً

يتمتعون بالضمير والشرف والإنسانية، يمكنهم إسماع صداهم إلى المثقفين والمؤمنين المسلمين لو اتفقوا على الحوار، يا للأسف من حين إلى آخر يتوقف الجانبان لاستعادة كاريكاتور الآخر في الذاكرة.

قوة النظام السائد اليوم يستمدّها من قدرته على إرباك أعدائه وتقسيمهم وزرع الإحساس فيهم إنه لا يمكن التعاون أبداً، هذه استراتيجية قديمة لكنها فعالة (قسّم تفرّق)، هم أنفسهم الذين ينتقدون وسائل الإعلام عندما يقوم هؤلاء بمناصرة النظام الليبرالي المتطرف، ثم يقعون في فخ وسائل الإعلام ويتأثرون بمنطقها الموجز المنظم عندما يصفون العالم الإسلامي أنه عالم الصلاح، إن الوسائل المستخدمة من النظام للدفاع عن مصالحه هي نفسها لم تتغير يجب الانتباه إلى ذلك.

هذه الظاهرة لها عدة مستويات، لذا يجب علينا تحمل المسؤولية وإبطال كل التصورات والخطب التي تحظى بمباركة النظام السائد اللا إنساني والاستمرار في مقاومتنا إلى أبعد الحدود والتضافر والتكاتف وتحمل المسؤولية.

يا للأسف، كم من امرأة وكم من رجل على استعداد للدفاع عن التسامح والاحترام المتبادل في مجتمعاتهم يتراجعون عن مبادئهم عندما يتعلق الأمر بالإسلام، هل يمكن لنا أن نتجرأ ونقول لهم إن النظام الذي يرفضونه يكشف عن براعته ومهارته في التصدي لهم؟ بما إنهم يقاومون النظام فهم في الوقت نفسه يتصدون لأي شيء غير

غربي بما في ذلك الإسلام، هذه هي براعة النظام وفعاليته إذ يستطيع تحويل أعدائه في الداخل إلى حلفاء ضد (الخارج)، لكي يتمكن من الفوز في لي الذراع، لهذا لا بد للنظام من التلاعب بمن يقاومونه، ولكن خارج ميدان المراجع الغربية لكي يصبحوا خطراً مزعجاً لذا علينا جميعاً العمل على عدم الوقوع في الفخ الذي ينصبه لنا النظام بادعاءاته الكاذبة والسطحية التي ندعي محاربتها ومقاومتها.

* الإسلام المشكوك فيه

جاك نيرنك:

لتسمح لي أن أفيدك بتجربة خاصة. لقد التزمت لسنوات عديدة في مشروعات إنسانية وأسست مع مجموعة من الأساتذة جمعية لتنمية بيداغوجية التضامن داخل المنظمة التربوية بجينيف، مهمتنا كنا آنذاك أساتذة في التعليم الثانوي تقتصر على عدم النظر إلى أي صورة دينية أو سياسية، وبما إنني كنت رئيس هذه الجمعية فلا بد من الالتزام الكامل بهذا المبدأ وتنفيذه حرفياً. كان لالتزامي هذا صدى كبير داخل وخارج الجمعية، وقد فوجئنا جميعاً بتعاطف الجميع معنا، وانهارت علينا التشجيعات من كل الجهات.

وبعد 10 سنوات من العمل الدؤوب للدفاع عن أهداف هذه البيداغوجية الخاصة بالتضامن وتحمل المسؤولية، قررت الاتجاه إلى ميدان آخر مكمل لهذا العمل التربوي النبيل، قدمت استقالتني من منصب الرئيس وعميد المدرسة الذي كنت أشغله في تلك المدة على

أمل التفرغ إلى مهمتي الجديدة، لقد سخرت كل وقتي لتلقي الشباب كيفية احترام الغير، احترام الشباب، والشيخ، والفقراء، والمساكين، والمهمشين، إلخ... كنت أحاول أيضاً أن أنمي فيهم نزعة التضافر والتلاحم وحب المسؤولية، أحاول أن أفتح قلوبهم وأعينهم على تعدد الحضارات، وتعدد الأديان، والثقافات، لقد قمت بإعداد مقابلات وزيارات وأسفار إلى الهند وأمريكا الجنوبية وإفريقية، قابلنا أثناءها (دون هيلدر كمرا، والأخت إيمانويل والأم تيريزا، والدلاي لاما، وإيدموند كيزر، وهربير ريفس، وألبير جاكار، والراهب بيير وكثيراً من النساء والرجال الآخرين... ومع كل واحد منهم ارتبطت بصداقة أخوية، صداقة عميقة أحياناً.

طارق رمضان:

أنا أيضاً بوصفي مسلماً من أصل مصري أشارك في هذه الثروة العظيمة، أنا أيضاً وبموجب وظيفتي العمومية، قمت بالمهمة نفسها في الداخل وعبرت عن ديانتني وحضارتي، حضارتي غير المعروفة التي ترى كل أنواع الإساءة، بعدها تغير الوضع، بعض الأصدقاء وبعض الزملاء عرفوا أن مسيرتي لم تتغير، وأنا أيضاً لم أغير، وأن كل مقوماتي الإنسانية وكل انفتاحي الفكري لا ينفكان عن بث الحياة في، لكن الكثير منهم رجعوا إلى الكاريكاتور والصحافة ورفض الآخر، الذي كان بالأمس رفيق المقاومة أصبح اليوم (تماسياً) أو (أصولياً) أو (متطرفاً) أي بعبارة أخرى أصبح رجلاً آلياً (روبوت)، كل الأكاذيب الملفقة ضد الإسلام ظهرت إلى الواجهة من جديد، وخيم الشك على

أعمال الأمس التي كان الجميع يصفّق لها، بعض الزملاء منعوني من الكلام، عرفت حينها أن الطريق لا يزال طويلاً، وأن عملاً استفسارياً وشرحاً معمّقا ينتظرنا لأن الأحكام المسبقة والشك لا زالت تسيطر على عقول الناس، حتى التقدميين منهم والإنسانيين أيضاً، حتى أفكارهم تعبّر عن انغلاقهم عند الحديث عن الإسلام، مع أنه لا يمكن اتهامهم بالرجعية والتشدّد.

نساء ورجال كانوا من أشدّ الدعاة إلى (الحوار) و(التعددية) و(التسامح) و(الاحترام) و(التضامن) أصبحوا يشمئزون وينغلقون ويعوجون أمام الإسلام الذي ينظرون إليه عبر موشور مضعم بالكليشيات الملفّقة حول الإسلام البريء، واجهت الكثير من الرافضين وجرحت في العمق لكني تعلمت الكثير منهم لأن كل الكلمات المذكورة آنفاً لا تعني شيئاً إذا لم تأت من أعماق من يتلفّظ بها، هناك عمل يومي في انتظارنا لتحليل وتقويم تصرفاتنا تجاه الآخرين، تحليلها بعمق واتزان، تحليلها بقلب مفتوح ووضوح.

فالتحالف هو المطلوب لإنجاز هذه المسيرة الإنسانية وهذا ما أتمناه، التحالف ممكن، أنا متأكد من ذلك، لا أريد التوقف عند الأحاسيس الطيبة؛ لأنني رأيت الكثير من النساء والرجال يتحدثون عن الحب، والمجاملة، والتضامن، ولكنهم يحكمون على من يقف أمامهم عبر أحكام مسبقة وما تطرزه وسائل الإعلام من أكاذيب زائفة وخطيرة، الشراكة التي نتحدث عنها لا يمكن بناؤها على التزام سطحي ولكن

على الحقائق، وعلى الحوار، حوار لا يرفض فيه أي سؤال، حوار همنا الوحيد فيه التفاهم لإنجاز مسيرتنا مع بعضنا، لا أعرف تصرفاً آخر أكثر أنسية من هذا.

إن عقائدنا وضميرنا يدعوننا إلى ذلك، أعتقد ذلك، وهذا هو موضوع هذا الكتاب.